

العراقيون عاتبون
على حماسإبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

اختلفت التسميات، وتغيّرت الشعارات. فظلّ هنا وظلم هناك، ومحتلّ هنا ومحتلّ هناك، ومصادرة حريات وحقوق وكرامة ورضاص حي هنا وهناك. بصراحة، هناك إسرائيل وهنا إيران. أما حماس، بتبعتها إيران، فلا تختلف، على الأقل في نظر أشقاها ضحايا الاحتلال الإيراني عرب العراق وسوريا ولبنان واليمن، عن منظمة بدر وعصائب أهل الحق وحزب الله العراقي وربيع الله وسرايا الخراساني وسرايا السلام. فكلها أدوات سياسية وعسكرية واقتصادية يستخدمها النظام الإيراني فقط عندما تقضي حاجته بذلك وعند الضرورة، دون أن يورط جنوده وضباطه الإيرانيين في معاركه التي يخوضها بدماء المستأجرين أو المضللين. والفارق الوحيد بين انتفاضة الفلسطينيين وانتفاضة العراقيين هو أن الذي يقتل في فلسطين عدو يهودي اجنبي قادم من بلاد اجنبية عديدة، دعمته وأمدته بالقوة وحمت احتلاله حكومات اجنبية متنامرة جعلتها أطماعها الاستعمارية تناصر القاتل على المقتول، والسارق على المسروق، أما في العراق فالذي يقتل هو شقيق مسلم جار يستاجر عراقيين، لا اجانب، ليقيموا بمهمة القتل والنهب والاعتصاب والاعتقال نيابة عنه.

لقد سقط بغارات المحتل اليهودي في غزة فقط مئتان وثلاثون شهيدا ردا على صواريخ الجهاد الإسلامي. ولكن المحتل المسلم الإيراني قتل في الموصل، وحدها، في ساعة واحدة، خمسة آلاف ما زال بعضهم تحت انقاض منازلهم لحد الآن. ناهيك عن مجازره الأخرى التي قام بها حشده الشعبي في الفلوجة والرمادي وتكريت وديالى وما زال يقوم بها ولم يتوقف.

وحتى لو صدقنا أن الحرس الثوري الإيراني مخلص في دعم الجهاد الإسلامي وكتائب القسام، فإن الحقيقة والوثائق والقرائن تؤكد أنه لا يفعل ذلك من أجل تحرير الشعب الفلسطيني من الظلم والقهر والعدوان، ولا من أجل تمكينه من إقامة دولته الحرة المستقلة، بل إن هدفه المعلن الواحد الوحيد هو طرد المحتل اليهودي وأخذ مكانه في الاحتلال، ليضم فلسطين كاملة، لا غزة وحدها، إلى مستعمرات إمبراطوريته العنصرية التاريخية التي يحلم بإعادة بعثها من جديد.

فمضى كان حزب الله اللبناني الذي أنشاه النظام الإيراني وسلحه ومؤله مؤمن بوحدة لبنان وحرية شعبه وكرامته ورحائه؟ ومتى كان الحوثيون مجاهدين من أجل خدمة اليمن ووحدة شعبه وامنه واستقراره؟ والتم تشارك ميليشيات الولي الفقيه في سوريا نظام بشار الأسد في حرق المئات والألوف من الأبرياء السوريين بالبراميل المتفجرة في منازلهم وهم أحياء؟

والذي يغتال المتظاهرين العراقيين السلميين بالكواتم والرضاص الحي لأنهم هتفوا "إيران بره بره" أن يفعل الشيء نفسه والأكثر وحشية ودموية مع المواطنين الفلسطينيين لو تحقق حلمه، لا سمح الله، وضم غزة ورام الله إلى مستعمراته ذات يوم؟

تقول وكالة أنباء إيرانية إن ممثل حركة حماس في طهران، خالد قنومي، شارك في احتفال بعنوان الانتصار على القصف الإسرائيلي أقيم عند قبر القاتل قاسم سليماني في مدينة كرمان الواقعة جنوب شرق إيران، وصرح قائلاً "ليس من قبيل المبالغة القول إنكم أيها الإيرانيون شركاء في هذه الانتصارات، واشرككم على دعمكم ونحن نقدر ذلك". يا عيب الشوم!

الانتفاضة الشعبية الفلسطينية الأخيرة شيء وصواريخ حماس شيء آخر. فهذه صادقة في وطنيتها وخالية من التجارة السياسية والشعارات، وتلك مناورة سياسية إخوانية - إيرانية بعض أهدافها الانتقام الإيراني من بنيامين نتنياهو، وبعضها الآخر محاصرة المفاوضات الأمريكية والأوروبيين في فيينا، وهي في الحالين لا علاقة لها بفلسطين ولا بالقدس، ولا هم يحزنون.

أما الذي يجعل العراقيين والسوريين واللبنانيين واليمنيين، تخصصوا، يلجأون إلى العتاب المر الموجه لإسماعيل هنية وخالد مشعل وبعض قادة حماس فهو أنهم ركبوا على ظهر انتفاضة الشعب الفلسطيني البريئة الزهية الشجاعة الوطنية الخالصة من التجارة والسمسرة وحولوا دماء شهدائها وآلام جرحائها ومعاناة مهجرها إلى أوسمة وضعوها على صدر حسن سلامي، قائد الحرس الثوري الإيراني، وإسماعيل قاتني قائد فيلق القدس، دون حق، ومن أجل المزيد من الكسب غير المشروع. والأكثر إيلا ما أن الذي أطلقوا عليه الصواريخ محتل وغاصب، والذي يشكرونه محتل آخر وغاصب لا يقل وحشية ودموية وقمعا ونهبيا واعتصابا عن نتنياهو وعصابات المستوطنين اليهود.

وكما أن لنا مقابيلنا التي نزن بها الحروب ونتائجها، فإن لخالد مشعل وهنية وحسن سلامي وقاتني وقادة الميليشيات العراقية واللبنانية والسورية واليمنية ذات التاريخ الولائي الإيراني مقابيلهم الخاصة المختلفة التي يرون من خلالها أن صواريخهم قد انتصرت وحقق أهدافها.

فقد استعرض هنية مع اللواء سلامي نتائج معركة غزة و"الانتصار الذي تحقق"، وعبر عن تقديره العميق لإيران لـ"وقوفها إلى جانب الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة" على حد قوله. ففي اعتقادنا أنه لم يكن عادلا ولا مخلصا لقضيته ولشعبه حين يزعم بأن الانتفاضة قد انتصرت بصواريخ حماس الإيرانية، موحيا بأن الحرس الثوري الإيراني هو وحده الذي وقف مع الشعب الفلسطيني، ووحده الصادق والزهية والمخلص للانتفاضة، أما العرب فلا دور لهم وهم الذين قضوا ثلاثة أرباع القرن الماضي وربع القرن الحالي يجودون بدمائهم وأموالهم وأمن بلدانهم وهناء شعوبهم من أجل فلسطين، إيماننا منهم بالمصير المشترك الواحد، وبأن ما يسمى الشقيق الفلسطيني يمس شقيقه العربي في أي منزل عربي بين المحيط والخليج. وحين يرضى قادة حماس بالانضمام إلى مجموعة الأذرع الإيرانية التي يعرفون منجزاتها الدموية منذ قيام جمهورية الخميني فإنهم إنما يباركون، يعلم أو جهالة، للقاتل جرائم قتلته السابقة، ولا يعترضون على المزيد منها.

فليس هو المحتل الذي ناز العراقيون وقدموا المئات من الشهداء والجرحى والمفقودين والمهجرين في مقاتلة احتلاله وهمجية ميليشيات عملائه ووكلائه، ومن أجل الحرية والكرامة والعدالة والاستقلال؟ فأي فرق بين الانتفاضة الفلسطينية الشعبية التي انطلقت من القدس وتمددت إلى كامل التراب الفلسطيني، وبين انتفاضة تشرين الباسلة في العراق المستمرة من العام 2019 ولن تتوقف؟ فإن لهما، كلتيهما، نفس الأهداف والمبادئ والنتائج، وإن عدوئهما وقامع ثوارهما، وقاتل منتفضيهما واحد، وإن

إيران تخوض حربا...
ماذا ستفعل أميركا

لتأجيل الانتخابات التشريعية الفلسطينية!

جاءت صواريخ "حماس" لتنتقل ثورة أهل القدس إلى مكان آخر، إلى حيث يريد بنيامين نتنياهو الذي تعلق حوله أهل اليمين الإسرائيلي مجددا بعدما كان تعلق هؤلاء عنه لمصلحة الوسطي يوسي لايد. يبدو الخاسر الأكبر حاليا السلطة الوطنية الفلسطينية و"أبومازن" بالذات، صحيح أن الرئيس جو بايدن اتصل به أخيرا، لكن الصحيح أيضا أن لا قدرة من أي نوع لدى رئيس السلطة الوطنية على التأثير في الأحداث. من يؤثر في الأحداث هو من يمتلك الصاروخ، أي "حماس". في النهاية، أن قرار "حماس" قرار إيراني. وهو في هذه الأيام إيراني أكثر من أي وقت.

ما ينطبق على فلسطين، ينطبق على العراق حيث تؤسس إيران لميليشيات جديدة أكثر فعالية من تلك المنضوية تحت عنوان عريض هو "الحشد الشعبي". تقصف هذه الميليشيات أهدافا أميركية مثل السفارة في بغداد أو قواعد عسكرية فيها أميركيون. المهم أن إيران تستطيع من خلال هذه الميليشيات القول إن على أميركا الصرخ لمطالبها في شأن العودة إلى الاتفاق النووي الموقع في العام 2015 من دون أي تعديل عليه، مع ما يعنيه ذلك من رفع للعقوبات التي فرضتها إدارة دونالد ترامب. وهي عقوبات أنهكت الاقتصاد الإيراني وكشفت مدى هشاشته.

لا يمكن فصل تمسك إيران بالبقاء في سوريا، عبر ميليشياتها ومجموعات من "الحرس الثوري" عن الحرب التي تخوضها "الجمهورية الإسلامية". كذلك الأمر بالنسبة إلى استمرار إطلاق الحوثيين صواريخ وطائرات مسيرة في اتجاه الأراضي السعودية. من هم الحوثيون؟ من أين جاؤوا بالصواريخ والطائرات المسيرة؟ الجواب كلمة واحدة وهي إيران.

كذلك، لا يمكن فصل الانهيار اللبناني والعقبات التي يضعها رئيس الجمهورية ميشال عون وصهره جبران باسيل في وجه تشكيل حكومة برئاسة سعد الحريري خارج الحرب التي تشنها إيران على جهات عدة. لو شاء "حزب الله"، لتشكلت حكومة لبنانية أمس قبل اليوم. لكن ما يحل بلبنان واللبنانيين

خير الله خيرالله
إعلامي لبناني

ليس ما يدعو إلى الاستغراب حيا ما يدور في الشرق الأوسط والخليج. كل ما في الأمر أن هناك حربا أو حروبا، تشنها إيران على جهات عدة، من اليمن إلى غزة، مروراً بالعراق وسوريا ولبنان، لتأكيد أنها اللاعب الأساسي في المنطقة. لا يمكن فهم قصف قاعدة عين الأسد في العراق حديثا أو ما حدث في غزة إلا على خلفية هذه الحرب التي تتخذ أشكالا مختلفة. في فلسطين، هدت صواريخ "حماس"، وهي إيرانية في الدرجة الأولى، تل أبيب وأغلقت مطار بن غوريون في اللد أياما عدة. تبدو الرسالة في غاية الوضوح وهي أن لدى "الجمهورية الإسلامية" ما ترد به على إسرائيل في عقر دارها وأنها قادرة على الانتقام. انتقلت إيران بالفعل من كل ما تعرضت له أخيرا بدءا بسرقة الملفات المتعلقة ببرنامجهما النووي في العام 2018 وصولا إلى اغتيال العالم النووي الأهم لديها محسن فخري زاده في مكان غير بعيد عن طهران... في ظروف غامضة.

في كل الأحوال، لفتت إيران لإسرائيل رسما مهما وكشفت أن أذرعها تمتلك ما ترد به من دون الحاجة إلى تدخل عسكري إيراني مباشر. هناك فلسطينيون مستعدون ليس فقط لخطف ثورة القدس من مستعدون للتضحية بكل مواطن في غزة وبكل بنائية ومرفق عام من أجل تأكيدهم أنهم في خدمة المشروع التوسعي الإيراني في المنطقة.

خطفت "حماس" بصواريخها الإيرانية ثورة أهل القدس التي أدت إلى تعاطف دولي مع الفلسطينيين وقضيتهم. فقد أثبت أهل القدس أن في استطاعتهم مقاومة الظلم بكل أنواعه، بما في ذلك الظلم الذي الحقته بهم إدارة دونالد ترامب التي نقلت السفارة الأمريكية إلى المدينة المقدسة واعترفت بالقدس الموحدة عاصمة لإسرائيل. لكن أهل القدس لم يمنعوا "حماس" من خطف ثورتهم. شمل غضب المقدسين السلطة الوطنية الفلسطينية، كما شمل "حماس". كانت ثورتهم على الاحتلال وعلى السلوك السياسي الفلسطيني عموما في ظل انسداد كل الخيارات أمام رئيس السلطة الوطنية محمود عباس "أبومازن" الذي تدّرع بالقدس

آخر ما يهيمّ إيران. لبنان ليس سوى "ساحة"، تماما كما حال غزة. استخدم لبنان في حرب غزة بأن يسمح "حزب الله" لفصائل فلسطينية بإطلاق صواريخ قليلة في اتجاه الأراضي الإسرائيلية. بعث الحزب بالرسالة التي تريد إيران إرسالها. فحوى الرسالة أن غزة فعلت ما فعلته بإسرائيل بنحو أربعة آلاف صاروخ، فكيف لو أطلق "حزب الله" صواريخه هو الآخر؟

حسنا، كانت الإدارة الأميركية الجديدة تؤدّ تفادي الشرق الأوسط والخليج. اهتمت بإيران كإيران، بملفها النووي، واهتمت باليمن من زاوية إنسانية. لم تستطع ممارسة هذه السياسة طويلا. اقتحم الشرق الأوسط واشتغل من بوابة عريضة. ليس معروفا ما الذي ستفعله إدارة بايدن التي أرسلت وزير خارجيتها أنتوني بلينكن إلى القدس ورام الله والقاهرة وعمان. ماذا يستطيع أن يفعل له رئيس السلطة الوطنية محمود عباس "أبومازن" بعدما خطفت "حماس" القرار الفلسطيني بأهه وأبيه؟

تحتاج إدارة بايدن إلى مقاربة مختلفة. ليس كافيا الإعلان عن دعمها لخيار الدولتين كي تجد حلاً سحريا في فلسطين حيث استطاعت "حماس" تعويم بنيامين نتنياهو سياسيا. إن خيار الدولة الفلسطينية هو آخر ما يريد "بيبي" السماع به. لا يريد رئيس الوزراء الإسرائيلي السماع بغير الاستيطان وتحويل فلسطين إلى أرض طاردة لأهلها.

ليس عيبا استعانة إدارة بايدن بجانب من السياسات التي اتبعتها إدارة ترامب تجاه إيران. تمكنت إدارة ترامب من استيعاب إيران والحد من عدائيتها منخلقة من معرفتها النامة بالسلوك الإيراني في المنطقة. نقطة البداية في إدراك أن الأهم من البرنامج النووي الإيراني في الوقت الحاضر هو الصواريخ الإيرانية والميليشيات التي تخوض حروب "الجمهورية الإسلامية" في كل أنحاء المنطقة. إذا كان من درس يمكن الاستفادة منه بعد حرب غزة فهو أن من المفترض أن تكون الصواريخ الإيرانية على الطاولة في أي مفاوضات من أي نوع مع إيران. تشنّ إيران حربا، بل حروبا عدة... ماذا ستفعل أميركا؟

«حماس» بصواريخها
الإيرانية خطفت ثورة أهل
القدس ونقلتها إلى حيث
يريد بنيامين نتنياهو الذي
تعلق حوله أهل اليمين
الإسرائيلي مجددا، ويبدو
الخاسر الأكبر حاليا السلطة
الوطنية الفلسطينية
و«أبومازن» بالذات